المسيري.. ذلك القنبلة

عبد الوهاب المسيري هو ذلك الإنسان الذي وهب نفسه لأمته. لم يجامل السياسيين، بل بقي واقفاً شامخاً كالسرو، إلى آخر لحظة من لحظات حياته التي أمضاها بين الكتب والسياسة والدراسة والبحث المستمر. فكان نعم الطالب، ونعم الباحث، ونعم المدرس.. كان رجلاً في زمن صعبت فيه الرجولة، وظل مبدئياً في زمن انحسار المبادئ، وشيوع المصالح والبراغماتية والميكافيلية، في زمن يبرر فيه كل شيء من أجل الوصول والمصلحة.

سلام مراد - سورية

هو ذلك الرجل الموسوعي بثقافته وعلمه فقد أنجز خلال مسيرة حياته أكثر من مئة كتاب؛ وأكثر أعماله التي لازمت اسمه موسوعة (اليهود واليهودية والصهيونية) في ثمانية مجلدات. قرأت له، واستمعت إلى أحاديثه. أحاديثه تبين لك ثقافته الواسعة المنفتحة. فهو المتشرب من تراثه إلى الأعماق، وهو المنفتح على الآخر وعلومه وفلسفته. ومع كل ذلك ظل متماسكاً ومتوازناً مع نفسه. لم يتقوقع على نفسه، ولم يذب في الآخر كما كثيرين من أبناء جيله. استطاع بفضل عقله وعلمه الواسع أن يستوعب العلوم، وأن يكون متوافقاً متوازناً مع ذاته ومع مجتمعه. لم ينظر بفوقية إلى هذا المجتمع البسيط المتواضع الذي خرج منه، بعكس الكثيرين من الكتاب الذين ما أن تعلموا شيئاً قليلاً حتى خرجوا عن الواقع وعن الأمة التي ينتمون إليها.

صاحب موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، كان إنساناً متميزاً مختلفاً له مدرسته الخاصة؛ لم ينقطع عن الجذور ولكن أغصانه امتدت عالياً في السماء. عانق الفهوم، وطاف الأرض بما وسعت، اغترف من الثقافات والأفكار، لكنه لم ينسَ نفسه. إنه كطور سيناء، وأهرامات بلاده التي مازالت شاهدة على حضارة وعراقة شعبه، لم يكن ابن اليوم، بل هو إنسان له امتداد تاريخي.

قاوم كل الخرافات والأساطير، ولم يستكن أو يهن، رغم الصعاب والمرض، قاوم حتى آخر رمق من حياته، لم يهادن، لم يجامل، لم ينافق، كان واستمر إنساناً عصامياً، في أفكاره ومواقفه وحياته. قال عن اليهود والشخصية اليهودية:

ثمة خلل في طريقة تصنيف الدولة الصهيونية في كثير من الكتابات الغربية، إذ تصنفها على أنها دولة يهودية، متبعةً في ذلك الكتاب الغربيين بل والصهاينة أنفسهم. ولكن هذه الكتابات لم تكلف نفسها عناء النظر في الأسباب التي دعت العالم الغربي إلى تصنيف الدولة الصهيونية على هذا النحو، ولا عناء اكتشاف بعض التناقضات الكامنة في التصنيف الصهيوني الغربي للدولة الصهيونية.

ـــل الذي انطفأ*

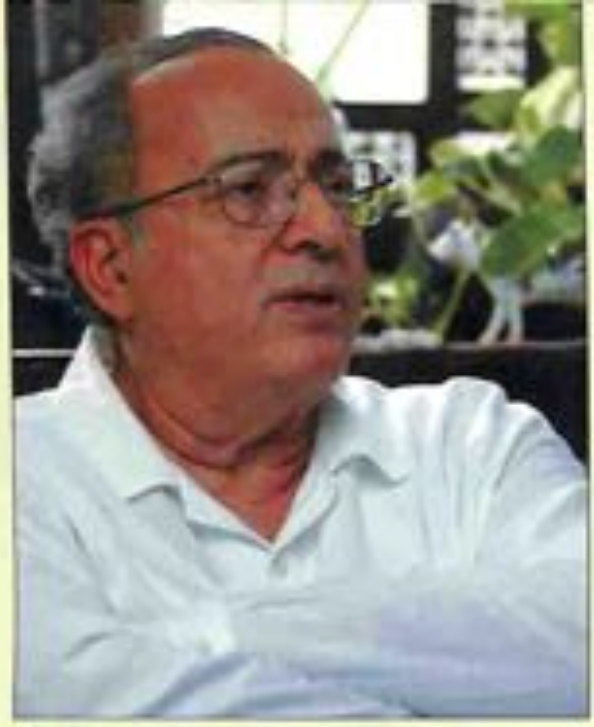

عبد الوهاب المسيري

من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟

أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية

فقد كانت القوى الاستعمارية الغربية منذ منتصف القرن التاسع عشر تريد إنشاء جيب استيطاني في فلسطين يضم بعض أعضاء الجماعات اليهودية، حتى يتسنى لها التخلص مما كان يسمى «الفائض البشري اليهودي» Jewish surplus، وحتى تؤسس قاعدة للاستعمار الغربي تخدم المصالح الغربية. ولتغطية هذه الدوافع ادعت القوى الغربية أن هذه القاعدة المنشودة ستكون «دولة يهودية» يحقق اليهود فيها هويتهم، وينفذون تعاليم شريعتهم. وتمكنت بذلك من تجنيد بعض العناصر البشرية اليهودية ونقلها إلى فلسطين، كما أمكنها توظيف هذه العناصر في خدمة الاستعمار الغربي الذي يدعمها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، ويصب فيها بلايين الدولارات، وهي تبرر هذا الدعم السخي أمام جماهيرها بأن تخبرها أن هذه دولة يهودية، وأنها جزء من التراث اليهودي المسيحي.

وتصنيف الدولة الصهيونية باعتبارها دولة يهودية يجعل من طردها للفلسطينيين واحتلال أراضيهم مسألة تحرير للوطن القومي، ويجعل من الاستمرار في قتل الفلسطينيين وتشريدهم عملية دفاع مشروع عن النفس، ويجعل من مقاومة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني عملاً «إرهابياً». فالخطأ في التصنيف هنا ليس مسألة أكاديمية، بل مسألة تحدد كثيراً من المفاهيم والمواقف، وهذا ما أكده مناحيم بيغن، رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق في خطاب أمام أعضاء كيبوتس عين حرود في الستينيات، إذ قال:

«لو كانت هذه الأرض فلسطين وليست أرض إسرائيل (أي لو كانت هذه الأرض هي وطن الفلسطينيين وليست أرض الميعاد التي ورد ذكرها في التوراة) فأنتم مجرد غزاة ولصوص، لأن تصنيف الدولة الصهيونية

باعتبارها دولة يهودية تستند إلى العهد القديم هو الذي يسبغ عليها الشرعية ويكفل لها تأييد الرأي العام في الغرب.

إن عبد الوهاب المسيري يظل من أهم الكتّاب الذين كتبوا عن اليهود واليهودية والصهيونية. حيث نجد موسوعته (اليهود واليهودية والصهيونية) من أكثر أعماله شهرة.

وهو رئيس وحدة الفكر الصهيوني وعضو مجلس الخبراء بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

وأستاذ الأدب الإنكليزي والمقارن بجامعات عين شمس والملك سعود والكويت.

وكان مستشاراً أكاديمياً للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن.

وكان أيضاً عضواً في مجلس الأمناء لجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية، ليسبرج، فيرجينيا.

ومن أهم أعمال الدكتور المسيري :

- «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد» في ثمانية مجلدات.
- «رحلتي الفكرية: سيرة غير ذاتية، غير موضوعية».
- «في البذور والجذور والثمار».
- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة — في جزأين.
- إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد في سبعة أجزاء.
- كما أن له مؤلفات أخرى في الحضارة الغربية والحضارة الأمريكية مثل «الفردوس الأرضي».
- «الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان».
- «الحداثة وما بعد الحداثة».
- «دراسات معرفية في الحداثة الغربية».
- **ودراسات لغوية وأدبية من أهمها:**
- اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود .
- وصدر له ديوان شعر بعنوان «أغاني الخبرة والحيرة والبراءة: سيرة شعرية».

ونشر الدكتور المسيري عدة قصص وديوان شعر للأطفال.

- ولد د. المسيري في دمنهور عام ١٩٣٨.
- التحق عام ١٩٥٥ بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة الاسكندرية، وعين معيداً في الجامعة نفسها عند تخرجه.
- سافر إلى الولايات المتحدة وحصل على الماجستير عام ١٩٦٤.
- ثم درجة الدكتوراه عام ١٩٦٩ من جامعة رتجرز Rutgers.

وعند عودته إلى مصر قام بالتدريس في جامعة عين شمس، وجامعات عربية عدة من أهمها جامعة الملك سعود، وعمل أستاذاً زائراً في أكاديمية ناصر العسكرية، وجامعة ماليزيا الإسلامية، وعضو مجلس

الخبراء بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

ورحل تاركاً وراءه إرثاً ثقافياً وعلمياً ينتفع به، وذلك في يوم ٢٠٠٨/٧/٣.

وبفضل علمه وكتبه يبقى حاضراً في مجالس العلم والعلماء، ويبقى من خلال علمه الذي تركه للأجيال القادمة، فقد شمله الحديث، بإذن الله تعالى، الحديث الذي يقول: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به».

وهو -إن شاء الله- من العلماء الذين ينتفع بعلمهم وعملهم من خلال أبحاثه ودراساته التي انتشرت في أصقاع العالم كلها، وترجمت إلى الكثير من اللغات الأجنبية.

وبالتالي يبقى د. المسيري الراحل الحاضر في الوقت نفسه لأنه كتب بمداد لا يمحى، فقد حفر في أماكن ومواضيع متنوعة.

وختام ذكرى المسيري في وداعه هي قصيدة له يقول فيها:

لو كان لي ألف ذراع
لو كان لي ألف قدم
لضممت الأرض إلى صدري
وأغمضت عيني في شغف
فوق الجبل سأصلب ذاتي
حتى يصعد شدوي لكم
شدوي بدر للعشاق
يبزغ في جنات الحب
ماذا أفعل؟
إذا كانت الشرارة تبرق في عقلي
فتفتح أبواب السماء التي لا سقف لها!
وأرى الخلود الأشيب
فعن طريق السؤال تبدأ رحلة المعرفة...

• • •

أرى أيدي الأخطبوط تعصرني،
وتقودني إلى النبع الأسود.
طويل هو الطريق المؤدي خارج الجحيم.
شكوت إليه بؤسي وحزني،
وأخبرته عن جرحي،
وعن قلبي الذي لا يسأم التحليق.
فابتسم،
انفجرت باكياً
فابتسم،
ثم سمعته يهمس في أذني:
ابنَ آدم!!
أنت في مركز العالم،
فلتقف ثابتاً! لا تتزحزح!
لقد استخلفك الله في الأرض،
انفرجت أساريري، ولم أخرج من الحلم ■

• مجلة الموقف الأدبي، العدد ٤٥٠، تشرين الأول ٢٠٠٨م، السنة السابعة والثلاثون، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.